مستعدة لتقبل غبار فكان يتنقل مئة ميل في اليوم الواحد. مثال ذلك انهُ لما ثار اهل انطاكية في عهد ثيودوسيوس وصل خبر ثورتهم منها الى القسطنطينية في ظهيرة اليوم السادس والمسافة بينهما ٩٥٦ ميلاً من امياله

هذه زبدة ما بقي في الطرق الرومانية القديمة الباقية آثارها في هذا القطر والقطر الشامي وكل البلدان التي تسلط الرومان عليها . ولولا البخار الذي ركّب المركبات خطوط الحديد لقلنا ان ابناء هذا العصر قد قصّروا عن شأو هم في ما انشأوهُ من السكك كما قصّروا عنهم في كثير من ضروب الابهة والمجد

كلام كوخ على الطاعون

حضر الاستاذ كوخ جلسة جمعية الصحة العمومية الالمانية في السابعة من الشهر الماضي (يوليو) وخطب فيها خطبة نفيسة موضوعها الطاعون شرح فيها كيفية ظهوره في العراق العجمي وبلاد فارس وبلاد الصين والهند منذ عشر سنوات الى الآن وقال ان الاطباء وجمهور الباحثين زعموا قبل ظهوره ان شأفتهُ انقطعت من المكونة وجرثومتهُ استئصلت منها فصار الناس يأمنون منهُ لكن ظهورهُ هذا اقنعهم بان ثارهُ كانت خابية تحت الرماد وانها تضطرم اذا سُنح فيها وتنتشر في الآفاق . غير ان ظهورهُ هذا لم يخلُ من فائدة كبيرة فقد تمكّن العلماء من البحث عن علتهِ وكيفية انتشاره بحثاً علمياً مؤيداً بالتجارب ومقروناً بالوسائل الحديثة فاكتشفوا ميكروبهُ اولاً وعلموا الطرق التي يتم بها انتشارهُ ونجحوا في الاساليب الواقية منهُ بعض النجاح واثبتوا ما قيل قبلاً من علاقة الجرذان به حتى يصح ان يقال الآن انهُ مرض الجرذان

لكنهم لم يحققوا مصدرهُ الاصلي فقد قيل قبلاً انهُ يتولد في كل مكان كثرت فيهِ الاقذار وساءت احوال السكان المعاشية. وهذا القول منقوض لا يعوّل عليهِ الآن. ولابدَّ من وجود اماكن هو مستوطن فيها ومنها ينقل الى غيرها . والاوبئة الماضية يمكن اقتفاء خطواتها كلها الى اماكن في العراق العجمي يُعلم ان الطاعون لم يفارقها قط ولكن كيف بلغ بلاد الصين في النوبة الاخيرة . وهناك ادلة كثيرة على انهُ كان موجوداً في ولاية هونان من ولايات الصين وان بلاد تبت وطن آخر من مواطنهِ. وقد يكون لهُ وطن ثالث في بلاد العرب بقرب

مكة المكرمة لكن ذلك غير مثبت ونرجح انهُ يظهر هناك مرةً بعد أُخرى لا لانهُ مستوطن في تلك البلاد بل لان عدواهُ تبقى فيها من سنة الى أُخرى

ولم يكن يعلم ان للطاعون وطناً آخر ولكن الاستاذ كوخ اكتشف لهُ وطناً جديداً في قلب افريقية فقد سمع وهو في بلاد الهند يبحث عن الطاعون ان وباء اصاب الناس في كيبة في الشمال الشرقي من البلاد الخاضعة لالمانيا قرب فكتوريا نيانزا فبادر اليها ظناً منهُ ان هذا الوباء شبيه بالطاعون ان لم يكن اياهُ وبحث عنهُ بحثاً بكتيريولوجياً مدققاً فوجدهُ الطاعون بعينهِ ووجد انهُ ينتقل الى الجرذان والقرود واذا انتشر بين الجرذان بلغ الناس وصار وباءً فظهورهُ في الجرذان دليل على انهُ سيظهر في الناس ايضاً

وعلم ان اهالي كيبة يقتاتون بالموز فقط ومزارع الموز عندهم غضة لا يدخلها النور ولا يجري فيها الهواء لكثافتها فتنمو فيها الميكروبات وتتكاثر جداً. ولا يُعلَم ما هي علاقة اكل الموز او الاقتصار عليهِ طعاماً بانتشار الوباء ولا بدَّ من ان يبحث الفسيولوجيون في هذا الموضوع ويكشفوا غوامضهُ . وقد وجد ان كيبة ليست وطن هذا الوباء بل انهُ وصل اليها من اوغندة الى الشمال الغربي من فكتوريا نيانزا وانهُ مستوطن بلاد اوغندة منذ عهد طويل ودخل كيبة مع رجل من اهاليها زار صديقاً لهُ فيها ثم عاد الى كيبة ومعهُ الوباء فمات بهِ واصيب كثيرون من الذين حضروا دفنهُ . وكيبة ليست في طريق القوافل والاَّ لانتقل الوباء منها الى غيرها

وروى بعضهم عن امين باشا انهُ شاهد الطاعون في وادلاي شمالي اوغندة . ولذلك يخشى ان ينتشر في كل افريقية بانتشار السكك فيها وتسهيل وسائل النقل . لكن العلم يمشي مع العمران فاذا روعيت اصولهُ وعمل بارشاده لم يقوَ الطاعون على الانتشار بل لم يقوَ على البقاء . ولا عبرة بما نراهُ الآن في بلاد الهند لان جهالة الناس هناك مقيدة بالقيود الدينية فيعسر نزعها منهم على حكومة دأبها اللين في معاملة رعاياها وهم كثار عليها فتحسب لثورتهم الف حساب . اما اواسط افريقية فاذا اظهرت الدول الاوربية الحزم في معاملة اهلها ومنعتهم من الالقاء بانفسهم الى التهلكة فلا يتعذَّر عليها ان تستأصل الطاعون من بلادهم والاَّ بقي فيها وزاد الخطر منهُ على سائر البلدان بتسهيل السبل واتساع طرق التجارة. هذا اذا لم يجد العلماء سبيلاً للوقاية منهُ قريب المأخذ دائم الفائدة كالتطعيم في الوقاية من الجدري او اذا لم يكتشفوا بؤرتهُ الحقيقية التي يتولَّد فيها وينتشر منها واشاروا بالوسائل التي تقطع شأفتهُ منها